

ما بعد نطنز: متى الردّ؟

تقديرات إسرائيلية: الردّ هو جُلّ... ولكن

علي حيدر

تشغل المؤسستان السياسية والأمنية في إسرائيل بمحاولة استكشاف الخطوة المقبلة لإيران، بعد استهداف إحدى أهم منشاتها النووية (نطنز)، والاعتبارات التي ستتخكّم بآئٍ قرار مستقّد على اتخاذه، وهي محاولات تعيد تجلية الصورة المشكّلة لدى الجهات القيادية والمختصة في تل أبيب حول الية صناعة القرار في طهران، قبل سنوات، شهدت الدولة العبرية سجلاً حول مدى عقلانية النظام

منير دغان: لدى النظام الإيراني تقدير وضع منظم جدّاً

الإيراني، شارك فيه وزير الأمن آنذاك إيهود باراك، ورئيس الأركان بني غانتس، ورئيس الموساد منير دغان. ومن بين الشهادات الثلاث التي انفتحت جميعها على عقلانية النظام في طهران، تبرز شهادة دغان بوصفها الأكثر تفصيلاً، فضلاً عن أهميتها الشابعة من كون صاحبها تولّى مسؤولية الملف الإيراني لعدة سنوات خلال عهد آرئيل شارون وبداية عهد بنيامين نتنياهو (2002 – 2011) إلى جانب منقله منصباً حساساً في المظلمة الأمنية الإسرائيلية.

أكد دغان، حينها، من موقع المسؤول والعارف، أن «النظام الإيراني نظام

بعد اغتيال الجنرال قاسم سليماني، رمز إيران ملف النفوذ الإقليمي، تتعرّض الأخيرة لموجة ضربات «غامضة» على رموز ملفاتها «الجدلية» الأخرى، وتحديداً البرنامجين الصاروخي والنووي. موجة يبدو أنها لم تنته بعد، إذ أفادت المعلومات الواردة من طهران منتصف ليل الخميس - الجمعة عن سماع

عقلاني»، لكنه أوضح أنه «ليس المقصود بذلك العقلانية الغربية، وإنما عقلانية تحدّد الإيجابيات والقيود، وتوازن بين الإيجابيات والسلبيات»، وخلص، في ضوء ذلك، إلى أن «هذا النظام يتميز بتقدير وضع منظم جدّاً، ويجري مستحكّم بآئٍ قرار مستقّد على عدة مستويات، من قبّل القائد (المرشد على خامنئي) ومحيطه القريب، (أيضاً) من قبل مجلس الأمن القومي، وشخصيات رفيعة المستوى». وحذّر المسؤول الأمني الإسرائيلي من الاستخفاف بالية صناعة القرار في إيران، واصفاً إياها بأنها «عمل جدي»، واصحابها بأنهم «جديّون للغاية».

هذه الصورة الحاضرة بقوة في تل أبيب، والتي يمكن لتلّس معالمنها مواقف القيادتين السياسية والأمنية ومقراتهما، يبدو مفيداً الرجوع إليها لفهم التقديرات السائدة حول ما بعد الإقليم، والتقديرات السائدة حول ما بعد مواقف القيادتين السياسية والأمنية في نطنز، في غير محطة سابقة، في مفاجأة خصومها واعدائها. في ما يتصل، ابتداءً، بنتائج التفجير، يمكن القول إن ثمة أضراراً حقيقية لحقت بالمنشأة، لكنها ظلّت محصورة بأحد المباني الواقعة فوق الأرض، فيما بقي الشابعة من كون صاحبها تولّى مسؤولية الملف الإيراني لعدة سنوات خلال عهد آرئيل شارون وبداية عهد بنيامين نتنياهو (2002 – 2011) إلى جانب منصباً حساساً في المظلمة الأمنية الإسرائيلية.

أكد دغان، حينها، من موقع المسؤول والعارف، أن «النظام الإيراني نظام

صوت انفجار غربي العاصمة، قرب منطقة كرج، تلاه انقطاع للتيار الكهربائي عن بعض المناطق. تريد الولايات المتحدة، من وراء إسرائيل، أن توجّه لكلمات جديدة لطهران في القضايا المطلوب التراجع فيها أو التفاوض عليها لرفع فاعلية حملة «الضغوط القصوى»، لكن تحت سقف الحرب الشاملة المتعدرة.



ما جرى هو امتداد للسياسات التي اتهمها المسكر المحامي لطهران بصدقه، ثني الأخيرة عن خيارها النووي (أ.ب)

الدلاء بمواقف صريحة ومباشرة، يمكن لتلّس بعض ملامح التقدير الإسرائيلي لرحلة،(ما بعد نطنز)، بما صدر عن معاهد الأبحاث والخبراء المختصين من ذوي السوابق الأمنية. هؤلاء أجمعوا تقريراً على التلميح إلى مسؤولية إسرائيل - أو في الحد الأدنى مشاركتها - عن الهجوم، مع الحديث عن توقيت ببعدين: الأول

يقع الاختيار على توقيت شائك، ترجّح «الثرثرة» الإسرائيلية الملمّحة إلى مسؤولية تل أبيب التنفيذية، أن هذا التوقيت يستمر أشهراً قليلة، حتى تشرين الثاني/ نوفمبر، هي مدة سيكون الإيرانيون فيها محشورين بالانتخابات الأميركية ومرتهنين لحساباتها. لذا يمكن الاستفادة من

ترامب، الذي ترجّح استطلاعات الرأي خسارته الانتخابات المقبلة، فإن أي ردّ إيراني دراماتيكي، سينشكّل بحسب شابين وغيرها من المعلقين والخبراء، «خدمة لترامب»، كونه سيساهم في حرف الأنظار عن فشله في الداخل وتعييمه شعبياً. من هنا، تعتقد شابين أن إيران «تُفضّل الهدوء إلى حين انتهاء انتخابات الرئاسة الأميركية»، مشيرة إلى أن التقدير السوفّ التي راهن الغرب وعمل على حاضراً قبل التفجير لدى الجهات الرسمية.

في المقابل، بظلّ احتمال الردّ وارداً انطلاقاً من أن الإنكفاء يعثت برسالة ضعف، وقد يشجّع الجهات المعادية على مواصلة هذه الضربات، في هذا السياق، أوردت مسؤولة قسم الأبحاث السابعة في الموساد عدّة سيناريوات تُراوح بين رفع مستوى التخصيب إلى 20»، وبين رة سايرري لا يترك بصمات وراءه، وصولاً إلى إطلاق صواريخ أو طائرات من دون طيار ضدّ إسرائيل أو السعودية أو منشآت أميركية في الخليج، وذلك عبر جهات حلقة إيران، ومع أن شابين افترضت أن اجتماع المحافظين المقبل في الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ومساوات مجلس الأمن الدولي في تشرين الأول/ أكتوبر، والانتخابات الدولية في معاهد فرض العقوبات الدولية عليها، وتعتبر شابين أن استهداف «نطنز» يندرج ضمن محاولات حشر إيران بما يؤدي إلى نجاح هذه الخطة. وفي ظلّ تراجع شعبية الرئيس الأميركي، دونالد

«حزب الحرب» في الإدارة الأميركية الحالية لعل شيء ما، بالحد الأدنى يؤخر إيران عن إكمال دوراتها النووية والصاروخية ويضعفها أكثر. في طهران، لا يزال «التكتم البئاء» سيد الموقف، حيث ستبقى الأنظار متجهة إلى ما ستفضي إليه تقارير المجلس الأعلى للأمن القومي. الأخير وإن

وليد شرارة

النطق إيّاه الذي يحكم التعامل الإسرائيلي-الأميركي مع البرنامجين النووي والصاروخي الإيرانييّ، يحكم أيضاً التعاطي مع إيران بشكل عام،المقولة التي تلخص هذا المنطق، بالنسبة إلى البرنامجين هي: «إن لم نستطع تدميرهما، قم على الأقل بتأخيرهما لسنوات أو حتى لأشهر». التعاطي مع إيران من قبل إسرائيل وحلفائها العقائديين-الأيديولوجيين في «حزب الحرب» الأميركي يتم وفقاً لمقولة مطابقة: «إن لم تتمكن من شئْ حرب تدميرية واسعة على إيران، قم بكيّل ضربات موجهة متتالية لها لإضعافها قدر الإمكان، قبل الانتخابات الرئاسية الأميركية». التفجيرات «الغامضة» في هذا البلد هي الترجمة العملية لهذا المنطق، قبل انتخابات قد تأتي بإدارة جديدة برئاسة المرشح جو بايدن، يربّح أن يعتمد مقاربة أقلّ تطرفاً حيال هذا البلد.

من يشك في أن هدف من سُئي به «حزب الحرب» داخل الإدارة، أي نواتها الأيديولوجية-العقائدية الملتغّة حول الثنائي مايك بومبيو ومايك بنس، وكان جون بولتون أحد أركانها، كان التازيم مع إيران، وصولاً إلى الحرب، ما عليه سوى مراجعة كتاب الأخير. هذا هو هدف السياسة التي اعتّمدت حيالها، والتي أدت إلى انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي معها، ومن ثم تطبيق «الضغوط القصوى» ضدها، أي محاولة خنقها اقتصادياً ومالياً، والعمل بدأب على استفزازها وزعزعة استقرارها وإغتيال قادتها، كما حصل مع اللواء قاسم سليماني، بالنسبة إلى النواة المذكورة، ومع أن الذهاب إلى حرب مفتوحة قد بات شديد الصعوبة، بالنسبة إلى الولايات المتحدة، وكذلك بالنسبة

إلى إسرائيل، مع جائحة «كورونا» ومفاعيلها، فإن التقدير السائد لدى الطرفين هو أنه من الممكن رفع وتيرة الحرب الهيجينة التي تُشن على إيران من دون أن يكون بمقدورها الرد نتيجة تدهور أوضاعها الداخلية، المرتبط بدوره بالجائحة وبتناجج الحصار الاقتصادي والمالي، لكن، وكما أظهرت العديد من التجارب السابقة، فإن عطرسة القوة كثيراً ما تدفع القوى الهيجينة، خاصة في مراحل تراجعها، إلى سوء التقدير. كتاب جون بولتون، مهما كان الموقف من الرجل، ومن التيار الأيديولوجي المرفق في الرجعية والعنصرية والتأييد لإسرائيل الذي يمثل، يتضمّن معلومات مهمة حول السياسة الخارجية الأميركية حيال منطقتنا وكيفية صياغتها، ما يهّمنا هو إدراك بولتون، منذ انضمامه إلى الإدارة كمستشار للأمن القومي، لتباين الأهداف، إلى حدّ التناقض في بعض الأحيان، بين التوجه الذي يجمعه مع بومبيو وبنس، وبين ترامب. هذا الأخير، المقتنع بأن خبرته بعقد الصفقات المتبعة ضدها من الضربات العقارية يصح أيضاً في السياسة الدولية، أدخل إلى فريقه عناصر معروفين بتشدّدهم المفرط كجرء الإرهابية التي أدت إلى استشهاده الفریق سلماني ورفاقه. من يقف خلف هذه العملية يفهم أن إيران قرأت الرسالة، ولهذا يمكن القول إنه يجب أن لا ينام ويبقى منتظراً الرد، لأنه بمجرد أن تغفو عينه ستبثلي الرد

المقبل بعدم انصباغ إيران المطالب الوكالة الدولية للطاقة الذرية، تمهيداً لنقل الموضوع إلى مجلس الأمن الدولي بهدف إعادة فرض العقوبات الدولية عليها، وتعتبر شابين أن استهداف «نطنز» يندرج ضمن محاولات حشر إيران بما يؤدي إلى نجاح هذه الخطة. وفي ظلّ تراجع شعبية الرئيس الأميركي، دونالد

لماذا تتأخر إيران في الإعلان عن أسباب الانفجارات؟

يعبر، و حتى لم يُسمع صوت الطائرة أو الصاروخ، بل لم يُسمع صوت محضنة ومبينة بشكل محمي في جبال شاهقة، واستهدافها بصفّ جوي يحتاج إلى اقتراب الطائرات عن مئات الكيلوغرامات، وهذا من المستحيل إدخاله إلى هذه المنشآت، لذا فإن السيناريوي الباقي والراجح هو قيام جهة بأعمال تخريبية داخل المكان، كانت تعلم بدقة كيف واين يجب أن تقوم بهذه الأعمال، كي تحقّق



(أ.ب)

أكبر قدر من الضرر في هذه المنشآت، وعلى الرغم من أنه لا يمكن إدخال المتفجرات إلى المكان، فإن هناك مواد مختلفة قابلة للاشتعال في المكان يمكن استخدامها لإحداث حريق كبير، وجميع التحليلات تشير إلى أن هذا ما حصل بالفعل. في المكان بعد ساعات من حصول وكيف قام بهذا العمل؟ يحتاج هذا عمل إلى معلومات دقيقة جداً عن المكان، هي موجودة فقط لدى أجهزة الاستخبارات، ونظراً إلى أن مفتشي «منظمة الطاقة الذرية الدولية» كانوا قد زاروا هذا المكان عدة مرات، يمكن الاستنتاج أنهم قاموا بتسريب هذا معلومات حساسة للأعداء إيران، خاصة الولايات المتحدة وإسرائيل. ويحتاج الأمر إلى وجود عناصر وجواسيس مدفوعين بسخاء كي يخاطروا بالقيام بهذا عمل، عادة ما يكونون أعضاء منظمة «جهادي خلق» الإرهابية، وهم حالياً يقبضون ورائعهم من المملكة العربية السعودية، وطبعاً الأخيرة لديها أسباب للانتقام من إيران، وربما أهمها استهداف منشآت «أرامكو» من قبل «انصار الله» اليمنية. لا يمكن أن نتجاهل أن هذه الأحداث

لم يختر المواجهة المباشرة التي قد تخدم «حزب الحرب»، فمن غير المستبعد أن يوصي برودون من طبيعة الفعل «الغامض» عينه، أي ضربات حساسة ورمزية يتيمة بلا بصمات - ولا سيما مع خطر تمادي الهجمات - دخلت إسرائيل في استنفار أمني مبكر تحسّباً لها

انتقاله إلى مستوى أعلى من الحرب

هؤلاء العناصر المتشدّدون.

ليس سرّاً أن ترامب عندما شكّل فريقه، قام بمجموعة مقابضات مع قوى وتيارات أيديولوجية وعقائدية مختلفة، حصل على دعمها في مقابل التزامه بتحقيق بعض أهدافها على المستوى الداخلي وأو الخارجي. تحجج ما اصطلّح على تسميته «نفوذ إيران في الإقليم» ومنعها من تطوير قدراتها العسكرية والباليستية هما هدف مشترك بينه وبين التيارات الصهيونية والإنجيلية المتطرفة. غير أن ترامب كان مقتنعاً، كما يؤكّد بولتون في الكتاب، بأن الإيرانيين، تحت وطأة «الضغوط القصوى»، سيقبلون في نهاية المطاف بالتفاوض معه وتقديم تنازلات مؤلّة تتعلق ببرامجهم العسكرية وبموقع بلادهم في الإقليم في مقابل الحفاظ على النظام. هو لا يزال يعتقد أن استراتيجيته التفاوضية «العدّة» هي التي حملت رئيس كوريا الشمالية، بعد أن هدّد بإزالتها عن وجه الخارطة، إلى الموافقة على عقد قمة معه، وهو ما يمثل بذاته انتصاراً هائلاً في نظر ترامب حتى ولو لم ينجم عنه أية تنازلات للولايات المتحدة من قبل هذا البلد. يتشير بولتون إلى أن ترامب اشتكى عدة مرات أمامه من عدم قدوم الإيرانيين إليه بحثاً عن صفقة. لكن المهج في الكتاب هو ما يعرف به من إصراره في النقاشات بينه وبين أركان الإدارة على استحالة عقد أية صفقة مع نظام الحكم الموجود في إيران وعلى ضرورة «تكثيف الضغوط عليه اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً».

يذكر سينا طوسي، الباحث الرئيس في المجلس الوطني الإيراني-الأميركي، في مقال

على موقع «روسيونسيبل ستايت كرافت»، كيف أن بولتون رأى في إسقاط إيران لطائرة التجسس الأميركية التي اخترقت أجواءها مناسبة «لتحقيق حلمه بقصف إيران» وكيف أجمع أركان الإدارة على وبومبيو، اتفق الرجلان في ما بعد على عدم الاستقالة قبل أن يبلغ أحدهما الآخر بقراره قبل الإقدام عليه. يتنضخ في الكتاب أيضاً أن بولتون وبومبيو نجحا في تخريب محاولات التوسط بين بلدهما وإيران، والتي قام بها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون. «حزب الحرب» كان معنياً بإفشال أي احتمال بتخفيض التوتر في الحد الأدنى بين البلدين والسعي لافتعال صدام مباشر عندما تتاح أية فرصة لذلك. لا ريب في أن جائحة «كورونا» وتداعياتها قد قادت إلى استبعاد مثل هذا الخيار اليوم، لكن العمليات المتكرّرة التي وقعت في إيران خلال الأيام الأخيرة، وطبيعة المواقع الهيجينة» المتبعة ضدها من منخفضة إلى متوسطة التوتر، لم يفرض المستوى السابق من الحرب الذي بقي قابلاً للاحتمال من قبل إيران وحلفائها ولم يتهمّ عن المضي في مراكمة وتطوير قدراتهم العسكرية إلى رد يتسبب باحتدامها. من غير المؤكّد أن قامت هذا الأمر في ظلّ تصعيدها الذي نشهده حالياً.